تقديـم

د. عبد المنعم المشاط ـ د. ناهد عز الدين

يحوى هذا الكتاب بين دفتيه أعمال المؤتمر السنوى العشرين للبحوث السياسية، والذى عقده مركز البحوث والدراسات السياسية ـ بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة على مدار ثلاثة أيام فى الفترة من ٥ إلى ٧ ديسمبر ٢٠٠٦ .

ففى إطار التزامه بدراسة القضايا الحيوية المتعلقة بالوطن العربى ومصالحه، وكذا المصالح القومية المصرية، وقع اختيار المركز على تلك الحرب العدوانية التى شنتها إسرائيل على لبنان فى يوليو (والتى عرفت بحرب تموز) بوصفه الحدث الأبرز خلال عام ٢٠٠٥ والذى استحق بجدارة أن يكون موضوعًا لمؤتمره السنوى. على أن هذا الاختيار لم يقف عند الحدث ذاته، عنوانًا للمؤتمر، فلم يقتصر فقط على محاولة تحليل أبعاده المتشابكة، أو استجلاء دوافعه ومسبباته المعلنة والخفية، علاوة على تفسيراته المتباينة والمتعددة، بل انصب اهتمام المركز فى المقام الأول على المستقبل، حيث كان الهدف المحورى من وراء إخضاع هذه «الحرب» للتدارس والبحث هو دعوة المشاركين لقراءة ما خلفته وراءها من آثار، ونتائج على نطاق أوسع، وبتعبير أدق، استشراف ما تمخضت عنه تلك الحرب من تداعيات ذات أثر بالغ على مستقبل المنطقة بأسرها، سواء فى المدى المنظور، أو فى المدى البعيد.

وفى حقيقة الأمر، أنه ليس بجديد على المنطقة العربية أن تكون بؤرة للتوتر، أو مسرحًا مهيئًا لتفجر الصراع فى أية لحظة (وإن اختلف الزمان أو تغير المكان)؛ لذا، فإن اندلاع مواجهة عسكرية بين عشية وضحاها لم يحمل وقوعه كحدث مفاجأة غير متوقعة لكثير من المراقبين، بيد أن تلك الحرب التى شنتها إسرائيل ضد لبنان أتت زاخرة بمفارقات غير مسبوقة، ومشاهد جديدة لم تعرفها أو تعهدها المنطقة من قبل، حتى يمكن لمن يقرأ

أحداثها جيداً وبتمعن الادعاء بأن تلك الحرب قد قلبت الموازين ليس على المستوى الإقليمى فحسب، بل وأيضًا على المستويين القطرى (الأضيق) والدولى (الأوسع)، الأمر الذى استدعى من كافة الأطراف المعنية، مباشرة كانت أو غير مباشرة، دولية وإقليمية، ضرورة التوقف عند ذلك الحدث وقفة جادة لمراجعة حساباتها، وإعادة ترتيب الأوراق، لا سيما فى ضوء ما أسفرت عنه المواجهة من تداعيات ما زالت حتى تاريخ كتابة هذه الكلمات فى طور التشكل، والتتابع.

ومع الاتفاق على ضرورة التمييز بين نتائج الحرب فى الأجلين المتوسط والبعيد، كان من منطق الأمور أن يسعى المحللون إلى الخروج من أسر اللحظة الراهنة، وما تشمله من أحداث آنية، إلى آفاق أوسع من خلال استشراف أو توقع لما قد يأتى به المستقبل من مستجدات.

ذلك أن كلا الأمرين: الحدث وتداعياته، كانا وما زالا محلا للجدل، ومثارًا للمناقشات، التى اتسعت دوائرها وحلقاتها لكل مهتم، أو بالأحرى لكل منشغل بهموم هذه المنطقة.

وفى هذا السياق، تباينت التحليلات والتفسيرات ما بين رأى يجزم بأنها كانت حربًا مخططة، رسمت أحداثها بدقة، وتم التدبير لها جيدًا وعلى نحو مسبق، على الأقل من جانب الطرف الإسرائيلى. وتكييف آخر للحرب يؤكد أنها حتى وإن بدأت كذلك فى مستهل أمرها، فإن مسارها وتطورها لم يلبثا بعد قليل أن خرجا تمامًا عن نطاق السيطرة، وتجاوز القدرة على الاستيعاب لدى كل من طرفيها، وانصرف هذا الرأى إلى رصد كيف وجهت الأحداث صانع القرار على الجانبين وجهات مغايرة نسبيًا أو بعيدة كل البعد عن تلك التى خطط لها من قبل.

وفى حين ذهب فريق من المحللين إلى توجيه اللوم لحزب الله الطرف المقاوم بوصفه البادئ أو المبادر الذى أقدم على اتخاذ خطوة غير محسوبة أو خوض مغامرة خطيرة جرت على الشعب والدولة فى لبنان كل هذا الحجم غير المسبوق من الويلات، والخسارة والتدمير، حتى أنه كاد يورط معه المنطقة ككل فى حرب لم تخترها أى من دولها، ناهيك عن التوقيت غير المناسب بالمرة، فهى أبعد ما يكون، فى هذا الوقت، عن الاستعداد لدخول مثل تلك المواجهة.

عمد فريق آخر إلى توجيه كل التحية والإكبار لقوى المقاومة، مثنيًا على صمودها وثباتها، وما أبدته من قدرة مذهلة وأداء رفيع فى الميدان بالتصدى للعدوان، والدفاع ببسالة فائقة كان من شأنها تلقين الجيش الإسرائيلى درسًا مريرًا قاسيًا، وإصابة قياداته بصدمة دفعتهم، ربما لأول مرة منذ زمن بعيد، للوقوع فى حالة من التخبط، والارتباك، انتهت بالاعتراف بالفشل.

وهو الأمر غير المألوف فى ضوء ما هو معروف للجميع عن الصلف والغرور والغطرسة الإسرائيلية، والدعاية المكثفة حول أساطير التفوق العسكرى المطلق، واحتكار القدرة على الردع، وامتلاك أقوى جيش، وأضخم ترسانة من الأسلحة الأكثر تطورًا فى المنطقة... وهى الادعاءات والمزاعم التى تم ترديدها، والترويج لها ولغيرها من الأكاذيب والأباطيل عبر مختلف وسائل الإعلام حتى باتت من قبيل المسلمات فى نظر أغلب دول العالم عموما، والدول العربية على وجه الخصوص، فإذا بالحرب تزيح الستار عن الحقيقة، وتكشف النقاب عما تنطوى عليه تلك الصورة، التى صنعتها إسرائيل لنفسها، من خداع وتضليل وزيف..

أما الفريق الثالث، فقد انصرف إلى توجيه الاتهامات وإعمال عقلية «المؤامرة» فيما خرج به من تفسير للحرب، فصورها وكأنها عمل مسرحى، تولى القطب الأمريكى الأوحد تأليف نصه، ووضع له السيناريو، كما انفرد بنفسه بتوزيع الأدوار، ثم وقف موقف المشاهد ليرقبه من وراء الكواليس مكتفيًا بالتدخل عند اللزوم لتوجيه مسار الأحداث الوجهة التى تتفق ومصالحه. فمن حديث عن تحريض أمريكى وصل إلى حد التواطؤ واقتياد آليات المجتمع الدولى ممثلة فى الأمم المتحدة عموما ومجلس الأمن تحديدًا، من أجل وضع مخططات الشرق الأوسط الكبير ـ والموسع ـ والجديد موضع تطبيق، بما يتوافق مع مقتضيات مصالحها.

إلى تحليل للحرب فى مجملها بوصفها أحد الأشكال الصراعية المعروفة فى مجال العلاقات الدولية للنمط المسمى «الحرب بالوكالة»، وكونها تعكس مواجهة غير مباشرة بين معسكر الغرب ـ الأمريكى ـ الأوروبى من جانب، ومعسكر إيران ـ سوريا من جانب آخر. فهؤلاء تولوا التخطيط، بينما تكفل كل من إسرائيل وحزب الله، كأدوات، بالتنفيذ.

وبغض النظر عما نجم عن تعدد الاجتهادات بتعدد المدارس، والرؤى، من تباين واختلاف حول تشخيص الأسباب الحقيقية وراء اندلاع الحرب فى نظر المراقبين، فقد استحقت تلك الحرب عن جدارة وصف **اللحظة الكاشفة** فى حياة المنطقة بصفة عامة، وفى مسيرة حياة الوطن العربى فى القلب منها على وجه أخص.

فما اتخذته الدول العربية فرادى من مواقف إزاء الحرب، سواء على المستوى الرسمى أو على المستوى الشعبى، سلطت الضوء على مواطن القوة والصلابة، ومواطن الوهن والهشاشة مجسدة تلك الفجوة الشهيرة الآخذة فى الاتساع والتعميق يوما بعد الآخر فى الوطن العربى فيما بين الحكومات على جانب، والشعوب على الجانب الآخر، وما اقترن بها من وضع مأزوم تعيشه أغلب الدول، بهياكلها ومؤسساتها الرسمية، وجهد هزيل تبذله المجتمعات المدنية والفعاليات غير الرسمية لتضييق تلك الفجوة، ورأب الصدع. وما تزامن مع كل ذلك من إصلاحات متعثرة الخطى، ومتأرجحة الوتائر تحت وطأة ضغوط الداخل والخارج معا.

أما مواقف تلك الدول مجتمعة عبر آليات العمل الجماعى كالجامعة العربية، أو منظمة المؤتمر الإسلامى، أو تحت مظلة الأمم المتحدة ومجلس أمنها، فقد أعادت بدورها فتح ملف العمل العربى المشترك (وهو ملف شائك تكتنفه الشوائب). وفى هذا الصدد، تعددت محاولات التشخيص لحالة الجامعة العربية ما بين قائل بوصولها إلى مرحلة من الجمود، وإصابتها بالشلل التام، والعجز عن الفعل، إلى من ينادى بأنه قد حان الوقت لإعلان وفاتها رسميّا.

وفى الحالتين، العلاج مستعص، تعترضه مصاعب جمة،

بيد أنه فى نظر البعض ما زال غير مستحيل.

وبمجرد أن ألقت الحرب أوزارها، امتد الخلاف فى الرؤى إلى تكييف كنه النتيجة التى باءت بها تلك الحرب، إذ أحاط الغموض والالتباس فى نهايتها بتحديد من هو الطرف المنتصر، ومن هو الطرف المهزوم، حتى قيل إن هذه الحرب أفرزت من بين نتائجها **معنى جديدًا للنصر**، أو أعادت تعريف وصياغة مفهومه، بما أضفى عليه مضمونًا جديدًا.

هكذا، طرحت الحرب بأحداثها وتداعياتها سؤالا جوهريا على بساط البحث:

وماذا عن المستقبل؟

ولا جدال أن محاولات الاجتهاد فى تقديم إجابة على هذا السؤال كان فيها متسعًا لجميع من شاركوا فى هذا المؤتمر بمحاوره المتعددة، من شتى التخصصات، ومن مختلف الأجيال المتعاقبة، والذين غطت أوراقهم الموضوع تباعًا عبر فصول هذا الكتاب، كما أتت مداخلات السادة رؤساء الجلسات، وتعقيبات المعقبين لتعكس معالم الجدل المحتدم حول ذات الموضوع، وبحيث استكملت الصورة وتم استيضاحها من كافة جوانبها وزواياها.

فالمحور الأول: حول **«الإطار الدولى والإقليمى للحرب»**، يشتمل على قسمين: أولهما بعنوان **«البيئة الدولية»** وكتبه د. محمد سالمان، وثانيهما بعنوان **«البيئة الإقليمية»** وقدمه د. حسن أبو طالب. وجاء هذا المحور مستعرضًا أهم الملامح التى ميزت تلك البيئة، بشقيها الدولى والإقليمى، والتى لا يمكن للمرء التطرق إلى فهم موضوع «الحرب» محل البحث بمعزل عنها، كانهيار القطبية الثنائية، وبدء عصر العولمة، والدخول فى مرحلة النظام الدولى الجديد الذى يتسم بالأحادية القطبية، حيث الانفراد الأمريكى بالهيمنة على العالم، وحيث رواج مقولات حاكمة كصراع أو صدام أو حوار الحضارات، وازدياد حجم وثقل المكون الثقافى جنب إلى جنبًا مع تنامى الاتجاه نحو العسكرة كأنماط سائدة للعلاقات الدولية فى صيغها الجديدة.

أضف إلى ذلك، حقائق جارية على الساحة الإقليمية، تعاد فى ضوئها رسم خرائط المنطقة ككل، ولا سيما فى محيطها العربى، كالاحتلال الأمريكى للعراق، والصراع الإسرائيلى ـ الفلسطينى، والوضع فى السودان (أزمة دارفور)، وفى الخليج العربى (النفوذ الإيرانى).

المحور الثانى: عنوانه **«إستراتيجية الحرب»** وينصب على تناول أبعاد المواجهة العسكرية فى الميدان بين جبهتيها المباشرتين، حيث عرض لواء د. زكريا حسين **«خطط الحرب الإسرائيلية»**، وقدم عميد أ. ح صفوت الزيات ورقة تناولت **«القدرات العسكرية لدى حزب الله»**. وسلطت كل منهما الضوء على ما تتسم به القدرات العسكرية من مواطن للقوة ونقاط للضعف من كافة نواحيها ومقوماتها العددية، والبشرية، والتسليحية، والتكنولوجية، علاوة على الصاروخية. وكيف أدار كل من الطرفين المعركة عبر مراحلها المختلفة بدءًا من وضع الخطط، والاستعداد والتدريب، وتجهيز مسرح العمليات، مرورًا

بتنفيذها. وانتهاء بتكييف النتائج التى أفضت إليها. وكشفت الأوراق عن تراوح الحرب، فى عمومها، بين جملة البدائل الإستراتيجية كالمبادرة، والمفاجأة، والهجوم، والتصعيد، والدفاع، فضلاً عن الصمود.

وشغلت مسألة سقوط نظرية الأمن الإسرائيلى قسطًا وافرًا من الاهتمام، وحجمًا كبيرًا من النقاش.

وعنوان المحور الثالث: «التغطية الإعلامية للحرب وتحليل الخطاب السياسى لأطراف الصراع»، أتى استكمالا لتحليل فصول أخرى للمواجهة، لم تشهدها ساحة المعارك، وتمت إدارتها خارج الميدان، والتى عولجت فى ضوء مفهوم «الحرب النفسية»، كواحدة من ضروب الصراع وأشكاله غير العسكرية، والتى تتم عبر وسائل الإعلام، وباستخدام أدوات وأسلحة غير مادية كالخطاب السياسى، وذلك من خلال **«دراسة مقارنة لدور الإعلام الرسمى والإعلام المستقل»** أعدتها د. آمال كمال، مع التركيز فى المقارنة على الصحف القومية (مع أخذ الأهرام كمثال للتعبير عن وجهة النظر الحكومية)، والصحف المستقلة (مع أخذ حالة جريدة المصرى اليوم كمثال معبر عن الاتجاه غير الحكومى، والمعارض). وأوضحت الدراسة بجلاء مدى التباين فى أسلوب التغطية الخبرية، والمواد الإعلامية التى تضمنتها، ومدى السرعة والكفاءة فى نقل الأحداث، من مواقعها، علاوة على أساليب المعالجة الصحفية، وما قدمته كل جريدة من تحليلات وتعليقات وتقييمات. أعربت فى مجملها عن اتجاه الجريدة إزاء الحرب عمومًا، وإزاء السياسة الخارجية المصرية المتبعة تجاهها على وجه الخصوص، ومن ثم نحو تبنى الموقف المصرى الرسمى من خلال لغة التأييد، والتبرير، وعرض الحجج، والدفاع، أو نحو رفض هذا الموقف، فى إطار الخط المعارض للجريدة، ومن ثم توجيه الانتقادات، ومهاجمة النهج الرسمى فى معالجة الأزمة، أو حتى كيل الاتهامات له. ووصمه بأوصاف السلبية، والضعف، والتخاذل (الذى شاب مواقف الحكومات العربية بوجه أعم).

وقراءات فى الخطاب السياسى الذى صدر عن صانعى القرار الرئيسين على الجبهتين طوال فترة الحرب، وهم: **حسن نصر الله قائد حزب الله رمز المقاومة، وفؤاد السنيورة رئيس وزراء لبنان رمز الحكومة، وإيهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل رمز الاحتلال، والعدوان**، وهى قراءات تحليلية قدمها كل من أ. نسمة شرارة، ود. أمانى مسعود،

وأ. حسام حسن على الترتيب، استهدفت التعرف على أهم معالم الخطاب المستخدم، من حيث اللغة، والمفردات المستعملة، والشعارات المرفوعة، حول أهداف الحرب، ودوافع كل طرف من ورائها، ونظرته للطرف الآخر، وتفنيده لحججه، وما تم تبادله عبر هذا الخطاب من اتهامات، ومحاولات للتشكيك، وهز للثقة لدى معسكر الأعداء، مع شحذ الهمم، وتعبئة الدعم وتأكيد التضامن ووحدة الصف الوطنى الداخلى، إضافة إلى العمل الدءوب على كسب التعاطف لدى الرأى العام، والحصول على أوسع نطاق ممكن من التأييد الجماهيرى، من خلال مخاطبة الشعوب بلغة المشاعر، والعزف على وتر العواطف، باستخدام الرموز الدينية والتاريخية والوطنية، وكيف توقف كل ذلك، من ناحية أولى، على طبيعة الجمهور المستهدف، وكنه الطرف الآخر المستقبل أى الموجه إليه الخطاب. كما تأثر من ناحية ثانية بصورة الشخص مصدر الخطاب ذاته، وسماته الشخصية، ودرجة توفر صفات وخصائص الزعامة التاريخية فيه، وصورة القائد الرمز الذى تلتف حوله الجماهير، ومدى انطباقها عليه، وبحيث يمكن اعتباره قدم تجسيدا لنمط بعينه من التصنيفات هو نمط «القيادة الكاريزمية».

المحور الرابع أتى تحت عنوان: **«المواقف الدولية إزاء الحرب»**، حيث تناولت أ.د. منار الشوربجى **«موقف الولايات المتحدة الأمريكية»**، وقدم د. أسامة مخيمر، **«موقف الاتحاد الأوروبى»** ثم قدمت أ. ولاء البحيرى، **«موقف الأمم المتحدة»** وتلاها أ.د. عبد الخبير عطا فى عرض **«موقف جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى»**.

وقد استطاعت الأوراق تقديم تغطية وافية لأبعاد الموقف الدولى المتخذ من شتى الجهات الفاعلة، سواء كانت الدول الكبرى، أو الهيئات والمنظمات الدولية والإقليمية ذات الصلة، وبدا فى خلاصة هذا المحور أن تلك المواقف خرجت تعبيرا صادقا عن ملامح وقسمات منظومة العولمة بكافة تجلياتها، وخصوصا فيما يتعلق بالانفراد والهيمنة الأحادية الأمريكية التى طغت بمحدداتها على تشكيل وتوجيه سياسة الشريك الأوروبى، نحو المنطقة، كما كان لها القول الفصل والكلمة النهائية، ليس فقط فيما يصدر عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن من قرارات، تصب فى مصلحة حليفتها إسرائيل، وتضرب بمطالب العرب عرض الحائط، وإنما أيضًا فى تحديد موعد صدور القرار بشأن إنهاء الحرب (وقف إطلاق النار) أو تأجيله حسبما ترتئى.

وهكذا، انعقدت لها قيادة الآليات الدولية، وأمسكت فى قبضتها بزمام عملية صنع القرار، داخلها. أما الآليات العربية والإسلامية، فقد ترجمت كعادتها نفس المعوقات والأعراض المرضية التى تسببت فيما آل إليه حالها من تدهور فى الأداء وصل إلى العجز التام عن الفعل، كانعدام الإرادة السياسية، وغياب الإجماع، وتعثر عملية اتخاذ القرار، وحتى فى حالة اتخاذها، فهى بمنأى عن التحقق أو الإلزام، نظرا لافتقادها لآليات المتابعة، وافتقارها كذلك لأدوات وإمكانات التنفيذ. فليس من الغريب إذن أن نشهد هذا الحجم من الاختلال الشديد الذى تظهر به موازين القوى الدولية. وتبدو فى محصلتها مرجحة على نحو مجحف للكفة الإسرائيلية (التى تلقى الولايات المتحدة بثقلها معها)، على حساب المصالح الحيوية والحقوق الأساسية للدول العربية (التى لم تعد تجد من يصونها أو ينبرى، ولو بالقول، للدفاع عنها).

أما عن المحور الخامس فقد جاء بعنوان: **«المواقف الإقليمية الرسمية»**، مبتغيا استجلاء المواقف التى اتخذتها الأطراف الإقليمية الفاعلة والرئيسة فى المنطقة، مع محاولة تفهمها وتدارسها، بدءاً من **«الموقف المصرى»** الذى قامت بعرضه د. حنان قنديل، ثم **«الموقف السعودى»** الذى قدمه أ. خليل العنانى، ثم **«الموقف السورى»** الذى تحدث عنه د. رضوان زيادة، وأخيرا **«الموقف الإيرانى»** الذى أوضحه د. محمد السعيد إدريس. وتميزت العروض بدرجة رفيعة من الموضوعية فى المعالجة والتحليل، برغم ما يثيره الموضوع من حساسية.

ونجح هذا المحور فى رسم معالم خريطة المنطقة بدقة ملحوظة، رغم ما تعج به من تشابكات وتعقيدات مبينا خطوط التماس ودوائر التقاطع والالتقاء بين أطرافها الإقليمية، حيث تعدى هدف التحليل شرح المواقف الرسمية المتبعة، إلى تقديم رؤية تفسيرية أعمق لها على خلفية الأوزان النسبية المتغيرة للفاعلين، ومردودات هذا التغير على أحجام أدوارهم، ومن ثم ما طرأ على نفوذهم من صعود وتمدد (إيران ـ سوريا ـ السعودية) أو هبوط وانكماش (مصر).

الموقف المصرى قدم حالة نموذجية على الدور الإقليمى، وإن توزعت الآراء فى توصيف ماهية التغير الذى انتابه، ودلالات هذا التغير من حيث إدراج مصر فى معسكر الاعتدال، واعتبارها بموجبه إحدى الدول المتزعمة له فى المنطقة (أو أحد أضلاع مثلث

يضم إلى جانبها السعودية والأردن)، أو الحكم على هذا الدور كمحك للنفوذ المصرى بناء على مؤشرات الواقع الإقليمى، بالتراجع، والتقلص، والانحسار (مع اختلاف التفسيرات بشأن المسببات).

فى هذا السياق، تطرح قضية الفراغ القيادى الإقليمى الناجم عن الانسحاب المصرى، والقوى والبدائل المرشحة للتقدم، وملء هذا الفراغ. والمقصود بطبيعة الحال: إيران، وسوريا، وكذلك السعودية (التى بدأت فى إدارة ملف القضية الفلسطينية، برغم إدراجها فى فريق الاعتدال).

وفى المحور السادس: انتقل التحليل إلى استعراض المواقف على الصعيد الآخر غير الرسمى، وغير الحكومى؛ ولذا أخذ هذا المحور عنوان **«مواقف المجتمع المدنى»**، التى تمت معالجتها على ثلاثة مستويات: القطرى والإقليمى والعالمى. الأول: تناولته ورقة د. ناهد عز الدين، بعنوان **«موقف المجتمع المدنى المصرى»**، وهو ما تلاه الانتقال إلى بحث **«موقف المجتمع المدنى العربى»** الذى قدمته د. إيمان حسن، والثالث هو **«موقف المجتمع المدنى العالمى»** الذى أوضحت أبعاده د. هبة رءوف.

وتنبثق أهمية هذا الجانب من حقيقة التنامى فى دور المجتمع المدنى، برغم ما يشوب أدائه من أوجه قصور أو معوقات، والذى يدفع به إلى مصاف الفاعلين الجدد فى حقبة العولمة.

وهى ظاهرة لا ينفرد بها الوطن العربى، ولا تقتصر عليه، بل هى موجة ذات آفاق كونية، سرت على المنطقة، كما سرت على شتى بقاع العالم. أضف إلى ذلك، ما كشفت عنه الحرب الأخيرة موضع الدراسة من وجود خط انقسام واضح يعكس الاختلاف البين فى المواقف الرسمية وغير الرسمية، بما وضع الحكومات فى واد، والشعوب فى واد آخر، وأبرز الهوة السحيقة التى تفصل بينهما. غير أن اللافت هو ما ميز أداء المجتمع المدنى العالمى إزاء الحرب من معالم الفعالية التى تعود إلى نجاحه فى تحقيق التنسيق، والتعاون، والتشبيك، بالمقارنة بالمجتمع المدنى المصرى، والعربى، الذى جاء أداؤه على النقيض، مفتقرا لأغلب تلك المقومات، ودون أن يضيف بمناسبة تلك الحرب إلى سجله أى إنجازات أو نجاحات، يكون من شأنها تحسين وضعه كفاعل على غرار نظيره الدولى. وهو ما استوجب طرح إشكالية أثر البيئة السياسية غير الديموقراطية كتربة غير ملائمة لظهور

المجتمع المدنى، ناهيك عن تفعيل دوره، وحقيقة التغذية المتبادلة بين نظم الحكم العربية التى تغلب عليها التسلطية، ومجتمعاتها المدنية التى تعانى من نفس الآفة، كوجهين لعملة واحدة. فى مثل هذا المناخ غير المواتى، أنى يتأتى للمجتمع المدنى أن يلعب دوراً فى قضية خارجية، إذا كان هو عاجزا أصلا عن إثبات وجوده، وتعترضه شتى أنواع التقييد والتعويق والحظر فى الداخل؟

الكتاب فى **محوره السابع**: ينتقل بالاهتمام من الوقوف على حدث الحرب ذاته، بما اشتمل عليه من مواجهات على جبهاتها المختلفة، ومن استعراض للمواقف المتخذة إزاءه على شتى المستويات، دولية وإقليمية، ومن شتى الأطراف حكومية وغير حكومية، إلى بحث ما أفضى إليه من نتائج، وما خلفه وراءه من تداعيات، حيث قدمت الأوراق كشف حساب ختامى لطرفى الحرب المباشرين. وفى هذا السياق، اتخذ هذا المحور عنوان **«الآثار الداخلية للحرب»** حيث بدأ أ. أمجد جبريل بتحليل تلك الآثار **«فى داخل المجتمع الإسرائيلى»** أولا، ثم قدم أ. د. رضوان السيد طرحه فيما يتعلق بتداعيات الحرب على **«الوضع الداخلى فى لبنان»**.

ثمة مفارقة أسفرت عنها دراسة النتائج، فبقدر ما أحاط بنهاية تلك الحرب من التباس حول تحديد المنتصر والمهزوم، بقدر ما تركت بصماتها العميقة على الجبهة الداخلية لدى كلا الطرفين، بحيث يمكن رصد أن لحظة انتهاء المواجهة العسكرية هى ذاتها لحظة بداية تصاعد التوتر إلى حد اندلاع الأزمة الداخلية، سواء فى إسرائيل أو فى لبنان.

فأمام الصدمة التى تلقتها إسرائيل، وضربت بعنف أسس نظريتها بشأن الأمن المطلق، مما أفضى إلى اهتزاز الثقة فى القيادات العسكرية، والميدانية التى أدارت المعارك، وتسببت حسب الرأى العام الداخلى فيما منيت به إسرائيل من هزيمة. فكان القرار بفتح التحقيق ومحاسبة المخطئين، وعزل القادة والمسئولين الذين أثبتت التحقيقات إدانتهم. هذا فى المدى القصير.

أما فى الأجل الطويل، فالمستقبل يثير كثيراً من الأسئلة المحيرة، والتى لا تجد عليها إجابات حاسمة أو قاطعة: سواء تعلقت برغبة إسرائيل فى الانتقام والأخذ بالثأر، وترجيح خيار العودة لاستئناف الحرب ضد لبنان وتصفية المقاومة، واسترداد الأسيرين على خيار دخول المفاوضات، أو قبول صفقة لتبادل الأسرى، أو تعلقت بالانتخابات

القادمة واحتمالات فوز حزب كاديما وصعود نجم نتنياهو، أو تعلقت بمراجعة نظرية الأمن الإسرائيلى، أو حتى تعلقت بسياسة التسوية واحتمالات المضى قدمًا فى عملية السلام مع الفلسطينيين، وصولاً إلى المآل الحتمى لدولة الاحتلال والاستيطان الصهيونى إلى الزوال.

وعلى الجانب الآخر، لم تمض على توقف الحرب أيام قليلة حتى شهد الشارع اللبنانى موجة عارمة من التظاهرات والمسيرات التى عكست أزمة الاستقطاب المتفاقمة بين الحكومة والمعارضة، والتى كادت تهدد بإيقاظ مارد الفتنة الطائفية، وجر لبنان إلى أتون الحرب الأهلية التى ذاقت مرارتها من قبل لسنين عدة. وكانت مسألة إحالة ملف اغتيال الرئيس رفيق الحريرى إلى «المحكمة الدولية» بمثابة الشرارة التى توشك أن تفجر الوضع اللبنانى المأزوم.

أما عن المحور الثامن: «الرؤى المستقبلية» فقد تطرق فيه المشاركون إلى مهمة رسم ملامح المستقبل، وما قد ينبئ عنه أو يحمله معه من صور ومآلات، وسيناريوهات وبدائل سواء تعلقت بمنطقة الشرق الأوسط ككل، أو ببلدان الوطن العربى تحديدا. فتحدث أ. السيد ياسين عن **«مستقبل الثقافة السياسية بين مفاهيم السلام والتعايش والمقاومة»**، وتناول أ. د. محمد قدرى سعيد **«مستقبل التوازن الإستراتيجى بين العرب وإسرائيل»**، وتولى أ. د. عبد المنعم المشاط عملية مراجعة وإعادة قراءة حول **«مفهوم الأمن القومى العربى»**.

أما قضية **«الديموقراطية ومستقبل الإصلاح السياسى فى الوطن العربى»** والتى أضافت ملفًا شائكًا لا يقل سخونة أو إثارة للجدل حوله عن كافة الملفات المصيرية السابقة، إن لم يكن قد احتل بفتحه فى الآونة الأخيرة موقع الصدارة بينها، إذ بات بمثابة المفتاح الرئيس والمحدد الحاسم ليس فقط فى فهم حال الأمة العربية الراهن وإنما فى تقديم تفسير لما قد تمر به من تقلبات بين لحظات الإخفاق والهزيمة والانكسار، ولحظات النجاح والعزة والانتصار.

كان مستقبل الديموقراطية والإصلاح السياسى فى الوطن العربى محورًا لرؤى استشرافية تراوحت من أقصى درجات التفاؤل إلى أقصى درجات التشاؤم، وتضمنتها مداخلات كل من أ. د. محمد السيد سعيد، وأ. معن بشور، وأ. د. علىّ الدين هلال. وبين هذا وذاك، يكون فى مقدور القارئ تلمس صور عدة للمستقبل، أو تصور مشاهد افتراضية فى شكل سيناريوهات، وبدائل متعددة، وعلى هذا المنوال يمكن استخلاص

الشروط، الأقرب إلى الموضوعية، لكى يقدر لأى بديل منها التحقق الفعلى على أرض الواقع.

وأخيرًا، لا يسع مركز البحوث والدراسات السياسية سوى التوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من أسهم فى صدور هذا الكتاب، وبصورة خاصة أ. سالى هانى وأ. رضوى صلاح منسقتى المشروعات بالمركز، وأ. ياسمين زين العابدين المعيدة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة المستقبل، كما يعرب عن أصدق آيات الامتنان لكل من استجاب بتلبية الدعوة للمشاركة فى أعمال هذا المؤتمر، وعلى رأسهم السيد عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية (بيت العرب) الذى أناب عنه السيد المستشار هشام يوسف.

والشكر الجزيل للأشقاء من الأساتذة العرب الأجلاء الذين تحملوا مشقة السفر، وعناء ترك أوطانهم العزيزة على قلوبنا جميعًا للمجىء إلى وطنهم الثانى مصر، وكان لحضورهم بالغ الأثر فى إثراء فعاليات هذا المؤتمر.

وبالله التوفيق والسداد

المحرران ـ القاهرة ٢٠٠٧م

فلسفة المؤتمر

د. عبد المنعم المشاط ـ د. ناهد عز الدين

ليس بجديد على المنطقة العربية أن تكون بؤرة للتوتر، وساحة مهيأة للصراع فى أى لحظة، وإن اختلف الزمان والمكان.. لذا لم يعد اندلاع مواجهة عسكرية بين عشية وضحاها مفاجأة، بيد أن تلك الحرب الأخيرة التى شنتها إسرائيل على لبنان حملت معها مفاجآت عديدة، كما أتت زاخرة بمفارقات غير مسبوقة لم تعرفها المنطقة من قبل، حتى يمكن القول بأن تلك الحرب قد قلبت الموازين، ليس فقط على المستوى الإقليمى؛ بل وأيضًا على المستويين الدولى والقطرى؛ وهو ما استدعى من كافة الأطراف المباشرة وغير المباشرة وقفة جادة لمراجعة الحسابات وإعادة ترتيب الأوراق، فى ضوء ما أسفرت عنه تلك المواجهة من تداعيات ما زال أغلبها فى طور التشكيل والتتابع.

ومع الاتفاق على ضرورة التمييز بين نتائج الحرب فى المديين المتوسط والبعيد؛ كان من منطق الأمور أن يسعى المراقبون والمحللون إلى الخروج من دائرة اللحظة الراهنة إلى نطاق الاستشراف والتوقع لما قد يأتى به المستقبل من مستجدات؛ ذلك أن كلا الأمرين (أى الحدث وتداعياته) كانا وما زالا محلا للجدل ومثارًا للمناقشات لكل مهتم أو مهموم بهذه المنطقة من العالم. وفى هذا السياق تباينت التحليلات والتفسيرات ما بين رأى يجزم بأنها كانت حربًا مخططة وأحداثًا مرسومة وبدقة، على الأقل من الجانب الإسرائيلى، ورأى آخر يؤكد أنها حتى وإن بدت كذلك؛ فإن مسارها وتطورها خرج عن نطاق السيطرة والاستيعاب لكلا الطرفين، كما وجهت الأحداث صانع القرار وجهات مختلفة عن تلك التى خطط لها من قبل.

وفى الوقت الذى ذهب فيه فريق إلى توجيه اللوم للمقاومة ممثلة فى حزب الله بوصفه البادئ أو المبادر بخطوة غير محسوبة، أو مغامرة جرَّت على الشعب اللبنانى والدولة

اللبنانية كل هذا الحجم غير المسبوق من الدمار والويلات، وكاد يورط معه المنطقة بأسرها فى حرب لم تخترها أىٌّ من دول المنطقة، ناهيك عن التوقيت غير المناسب؛ ذهب فريق آخر إلى توجيه كل التحية والإكبار لنفس المقاومة مثنيًا على صمودها، وما أبدته من قدرة رفيعة فى الميدان وتصديها للعدوان الإسرائيلى، ودفاعها ببسالة لقنت الجيش الإسرائيلى درسًا مريرًا، وأصابت قيادات إسرائيل بما يشبه الصدمة؛ مما دفعهم لأول مرة ربما منذ زمن طويل للاعتراف بالتخبط والارتباك ثم الفشل؛ وهو أمر لم يعتده الكثيرون فى ضوء الغطرسة الإسرائيلية المعهودة وأسطورة التفوق العسكرى المطلق، واحتكار القدرة على الردع فى المنطقة؛ وهو ما سلمت به أغلب دول العالم عمومًا، ودول منطقة الشرق الأوسط خصوصًا.

أما الفريق الثالث فقد انصرف إلى إلقاء التهم وإعمال عقلية المؤامرة فى تفسير الحرب، وكأنها مسرحية وضع النص لها القطب الأمريكى، كما قام أيضًا بتوزيع الأدوار، ووقف موقف المراقب والمشاهد من وراء الكواليس، ثم تدخل عند اللزوم لتسيير الأحداث؛ فمن حديث عن تحريض أمريكى وصل إلى حد التواطؤ مع آليات المجتمع الدولى ممثلة فى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، إلى تحليل للحرب برمتها بوصفها أحد تطبيقات الحرب بالوكالة، وكونها تعكس مواجهة غير مباشرة بين معسكر الغرب الأمريكى/ الأوروبى ومعسكر إيران/ سوريا/ حزب الله.

وبغض النظر عن اجتهادات التفسير الذى اختلفت مدارسه وتنوعت معها أسباب اندلاع الحرب؛ فقد لعبت تلك الحرب بجدارة دور اللحظة الكاشفة فى حياة المنطقة عمومًا، وفى حياة الوطن العربى على وجه الخصوص؛ فمواقف الدول العربية فرادى (رسميًا وشعبيًا) سلطت الضوء على مواطن للقوة وأخرى للوهن، وجسدت الفجوة الشهيرة بين الحكومات والشعوب، وما يرتبط بذلك من وضع مأزوم للدولة، وجهود هزيلة للمجتمعات فى رأب الصدع، وإصلاحات تعانى التعثر فى خطواتها والتأرجح فى وتائرها تحت وطأة ضغوط الداخل والخارج. ومواقف الدول العربية مجتمعة ـ عبر آلية الجامعة العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامى أو مجلس الأمن ـ أعادت بدورها فتح ملف العمل العربى المشترك، وتعددت هنا أيضًا التشخيصات؛ ما بين قائل بوصول الجامعة إلى العجز والشلل، إلى قائل بوفاتها، وفى الحالتين العلاج مستعصٍ، وإن كان فى نظر البعض ما زال غير مستحيل.

إذن فإن الخلاف قد امتد إلى تكييف كنه النتيجة التى باءت بها هذه الحرب، وأحاط الالتباس بتعيين من المنتصر ومن المهزوم، حتى قيل إن هذه الحرب أفرزت معنى جديداً للنصر، أو أعادت تعريف مضمون الانتصار. وهكذا طرحت هذه الحرب السؤال المحورى على بساط البحث: ماذا عن المستقبل؟

لا جدال أن محاولة الإجابة فيها متسع للجميع من شتى التخصصات، ومن مختلف الأجيال، وإن كانت خبرة الجيل الأكبر تفتح الطريق أمام الجيل الجديد؛ فلا شك فى أن هذا الجيل الجديد هو وحده الذى سيسلك هذا الطريق.

وفى إطار التزام المركز بدراسة القضايا الحيوية التى تتعلق بمستقبل الوطن العربى ومصالحه، وكذلك المصالح القومية المصرية؛ فقد قرر المركز عقد المؤتمر السنوى «العشرين» لدراسة تداعيات الحرب الإسرائيلية اللبنانية على مستقبل الشرق الأوسط.

وتدور المحاور العامة للمؤتمر حول ما يلى:

١ ـ الإطار الدولى والإقليمى للحرب.

٢ ـ إستراتيجية الحرب.

٣ ـ التغطية الإعلامية للحرب، وتحليل الخطاب السياسى لأطراف الصراع (الحرب النفسية).

٤ ـ المواقف الدولية إزاء الحرب.

٥ ـ المواقف الإقليمية الرسمية.

٦ ـ مواقف المجتمع المدنى.

٧ ـ الآثار الداخلية للحرب.

٨ ـ رؤى مستقبلية.

عبد المنعم المشاط ـ ناهد عز الدين